عبد الحميد يونس

رائد الأدب الشعبي

obeikandl.com

عـاش الفـتي سـتة عشـر عامـاً كمـا يعيـش كل فتيـان جيلـه.. دخـل المدرسـة الابتدائيـة وحصـل علـى شـهادتها فـى عـام ١٩٢٣م.. ثـم حصـل علـى شـهادة الكفـاءة عـام ١٩٢٥م.. ثـم رسـم لنفسـه حلمـاً طموحـاً.. تجسـد فـى ضـرورة دخولـه الجامعـة كمـا يفعـل المتفوقـون.

ويأتـي العام السـادس عشـر مـن عمـره (١٩٢٦م) فيصاب فى عينيه بمرض.. ولم تتمكن أسـرته من علاجه.. ففقد بصره تماماً..

جلـس الفـتي يديـر فـى ذاكرتـه مشـاهد الحيـاة مـن حوله.. ومـا تزخـر بـه الطبيعـة مـن جمـال.. ومـا يحفـل بـه العـالم مـن مرئيـات حسـية مختلفـة الألـوان والأشـكال والأحجـام.. ثم سـأل نفسـه: تـرى هـل أحـرم رؤيـة كل هـذا إلى الأبـد؟.. وكأن هاتفـاً يهتـف بـه: هكـذا أصبحـت أيهـا الفـتي فـى ظلمـة كاملـة.. ففكـر مـاذا تفعـل؟.

ولم يستسـلم عبـد الحميـد يونـس لهـذه المحنـة العاتيـة.. فتقـدم إلى امتحـان البكالوريـا عـام ١٩٣٠م ونجـح فيـه بتفـوق.. وكان ترتيبـه الثالـث عشـر بـين مجمـوع المتحنـين.

واجتمـع عليـه أهلـه.. وجـاءه مـن يعـرض عليـه أن يكـون ناظـر مقـبرة لأحـد الأمـراء فرفـض ذلـك بقـوة.

وجـاءه مـن يعـرض عليـه أن يكـون رئيسـاً لمدرسـة إلزاميـة صغـيرة.. فنفـر مـن ذلـك العـرض أيضـاً.. وصمـم علـى أن يواصل دراسـته مهمـا كلفـه ذلـك الأمـر، وتقـدم إلى كليـة الآداب جامعـة

القاهرة فى عام ١٩٣٦م حيث يواجه موقفاً لا يتصل بالكشف الطبي الذى تحتمه اللائحة.. وإنما يتصل بالامتحان الشفوي، فقد كان النظام الجامعي آنذاك يقضي بأن يمتحن الطالب فى جميع المواد امتحاناً تحريرياً وامتحاناً شفوياً.

وكانت العقبة أمام عبد الحميد يونس هو رسم الخرائط على السبورة وأصر المتحن أن يرسم عبد الحميد على السبورة.. لكنه لم يستطع ذلك ونال درجة ضعيف.. وجعله ذلك يمتنع عن الذهاب إلى الجامعة.. حتى عدلت اللوائح بعد ذلك وأعفي من رسم الخرائط.

ويحصل عبد الحميد على الليسانس فى عام ١٩٤٠م.. والماجستير عام ١٩٤٦م.. والدكتوراه فى الأدب الشعبي عام ١٩٥٠م

كان الرجل يتقن اللغة الإنجليزية إجادة تامة وكذا اللغة الفرنسية فلم تكن أمامه صعوبة فى الفهم والنقل عن اللغات الأخرى.

وشغلته مشكلة البطالة زمناً.. وتذكر هذا العرض القديم الذى عرض عليه ليكون ناظر مقبرة أحد الأمراء.. وتصور لو أنه كان قبل هذا العرض لا لشئ إلا لأنه كفيف.. لا يصلح للتعليم ولا لأية مهنة أخرى.

وحمد الله أنه لم يستسلم.. وأنه تحدي كل الظروف التى أحاطت به.. وأخذ يبحث فى موضوع البطالة ووسائل علاجها.. ونال عن هذا البحث جائزة المرحوم على ماهر عام ١٩٣٥م.

لقد اتخذ عبد الحميد من البصيرة أداة له على تحمل الحياة وسخافات البشر.. استنار بالبصيرة فأنارت له الطريق.. ووعى ما فى داخله من طاقات أودعها الله.. فجسد أحلامه وطموحاته بكل قوة واقتدار.. وها هو ينال وسام الجمهورية عام ١٩٥٥م وجائزة الدولة التشجيعية فى النقد الأدبي عام ١٩٥٨م.

ويعد عبد الحميد يونس من رواد الدعوة إلى دراسة الأدب الشعبي، وقد أثمرت هذه الدعوة إنشاء كرسي للأدب الشعبي القومي فى الجامعات العربية.. بعد أن كان مقصوراً على الأدب الفصيح.

ولم يكتف بذلك.. وإنما استثمر معرفته باللغات الأجنبية فقام مع بعض زملائه بتنفيذ مشروع ثقافي ضخم هو ترجمة دائرة المعارف الإسلامية.. التى تعد من أفضل دوائر المعارف المعاصرة.. وإلى جانب اللجان الأدبية التى يشترك فيها ومؤلفاته المتعددة فى مجالات الأدب الشعبي.. وترجماته عن اللغات الأخرى، كان يكرس من وقته وجهده لرعاية المكفوفين.. فكان رئيساً لجمعية النور للنهضة بمكفوفي مصر.. ونائبا لرئيس المركز النموذجي لرعاية المكفوفين.. وترجم كتاباً مهماً فى مجال المكفوفين هو (رحلة فى عالم النور).

وكما حدث وأصيب عبد الحميد فى عينيه وهو فى السادسة عشرة من عمره أصيب ولده أحمد كذلك فى عينيه وهو فى الرابعة من عمره.. لكن هذه المحن وغيرها جعلت منه رجلاً صلباً لا ينحني للعواصف.. بل جعلته عاشقاً للحياة.